يهود أميركا وإنتخابات إسرائيل

بقلم: غسان سلامة *

الحياة - ١١/١١/٨٨

من نيويورك رصد كاتب هذه الأسطر مواقف يهود اميركا عبر ثلاثة منهم، مؤثرين.

■ ستيفن سولارز نائب عن نيويورك، يفوز في الانتخابات لمجلس النواب مرة كل سنتين بمعدلات تتجاوز الثمانين في المائة من اصوات حي بروكلين حيث ترتفع نسبة اليهود الى معدلات عالية، ولافتات المحلات التجارية تُكتب احياناً بالعبرية. سولارز يبدو شاباً على الرغم من تجاوزه الخمسين، نحيل، نشط، عيناه لا تستقران دقيقة، ولا، على الارجح، ذهنه. وهو عضو فاعل جداً في لجنة العلاقات الخارجية يدافع بحماسة، بل بشجاعة، عن الديمقراطية وحقوق الانسان كما يفهمها جلُّ الاميركيين. لهذا فهو بطل التخلي عن ماركوس في الفيليبين و الانفتاح الديمقراطي في بورما. سولارز مثال النيويوركي الذي لا يريد ان تستعمل بلاده القوة، ويرى في ريغان خطراً على السلام، ينتمي طبعاً الى الحزب الديمقراطي ويعتبر نفسه (ويرى فيه كثيرون) مثال الليبيرالي المنفتح على العالم.

سولارز يهودي ايضاً، ومن مؤيدي اسرائيل طبعاً. ولأن ما سبق يتناقض مع هذا التاييد، فهو حزين. حزين ازاء غزو اسرائيل للبنان ومجازر صبرا وشاتيلا. حزين لأن الانتفاضة الفلسطينية تعطي عن اسرائيل صورة لا تختلف كثيراً عن صورة الانظمة التي حاربها بلا ملل في الفيليبين وبورما وجنوب افريقيا. سولارز يريد نهاية لمازقه الشخصي، يريد حلاً للصراع العربي الاسرائيلي. وترى في الحاحه على الحل بعض النتائج الجانبية والايجابية لانتفاضة الاراضي المحتلة. سولارز يريد مؤتمراً دولياً، حلاً «وسطاً» (في رايه) ما بين كمب ديفيد ومطلب الدولة الفلسطينية، حلاً يمر عبر «العرب المعتدلين»، حتى وان كان رايه ان اعتدال هؤلاء العرب، مثل اعتداله، مبني على حسابات واقعية لا على قناعات عميقة. كان سولارز على الأرجح حزيناً يوم اعلان نتائج الانتخابات الاسرائيلية، لأنه يلمس تباعداً اضافياً بين قاعدته الانتخابية الحساسة لحقوق الانسان واسرائيل العائدة بشامير وشارون الى السلطة. سولارز في مازق، ولحسن حظه فإن قضية حقوق الانسان في العالم ستبقيه مشغولاً بها في افريقيا وآسيا واميركا الوسطى والجنوبية. مازقه الشخصي سيزداد على الأرجح اذا قرر شارون اخيراً وبعد طول انتظار ان يبوح بحله السحري للقضاء على انتفاضة الشعب الفلسطيني. قد يخرج سولارز عن حزنه ليدخل، من باب او من آخر، في المأساة.

انطوني لويس لا صبر لديه، ولا مقترعين ينتظرونه في شوارع بروكلين. ليس الحزن الذي يسكنه بل الخيبة والغضب، بل والتهديد. لويس اميركي آخر، معلق في «النيويورك تايمز»، وله أبطاله، العاملون، في رأيه للسلام، يدافع عنهم في زاويته التي يكتبها من بوسطن. وتعليقه على نتيجة الانتخابات في اسرائيل واضح صريح بليغ: لن يكون سلام وستحكم اسرائيل ١,٧ مليون فلسطيني بالقوة وبالقوة وحدها. وستزداد المقاومة، ويتكاثر العنف وستتدهور قيمة اسرائيل المعنوية. وقد تكون الكارثة اكبر من هذا ايضاً.

ما العمل؟ لويس يكتفي باللجوء الى اليوتوبيا: «قد يقوم في يوم من الأيام زعيم اميركي او اسرائيلي يقول صراحة ان قمع اسرائيل الفلسطينيين من شأنه ان يؤدي الى تدمير اسرائيل». متى سنرى هذا الزعيم، وفي اية صفوف، وكم سيطول الانتظار، وماذا سيحصل خلال هذه الفترة؟ لويس لا يجيب، لأنه غير قادر على تصور الواقع المقبل، لاسوداده الشديد.

سولارز ولويس يزوران اسرائيل من حين الى آخر، طوماس فريدمان يعود منها بعد سنوات خمس من الاقامة في القدس، مراسلاً لـ «نيويورك تايمز». فريدمان، الحائز جائزة بوليتزر، وصل الى القدس بعد اقامة سنوات في بيروت، حيث يعتقد انه رأى صورة اولية عما سيحصل في الأراضي المحتلة: كراهية وعنف وعشائر طائفية تتحارب حتى النهاية، حتى النقطة الأخيرة من دمها.

فريدمان نيويوركي هو الآخر، ونشط ايضاً، وغير مستقر، ويهودي وذكي، وله في بيروت حتى اليوم غير صديق. لكنه على عكس سولارز ولويس لا يرى حلاً لا في انتصار بيريز ولا في انعقاد المؤتمر الدولي. عشر سنين في الشرق الاوسط جعلت منه رجلاً مشككاً في قدرة الطوائف والعشائر والقوميات على التعايش السلمي، لذا فهو يقول غضبه وغربته عن منطقتنا في كتاب يصدر في الربيع المقبل بعنوان «من بيروت الى القدس»، يتحدث فيه عن الحروب التي ما انفك يكتب عنها، والتي خلفت في ذهنه رعباً عميقاً، ونوعاً من القرف ازاء استعداد ابناء منطقتنا للتحارب المستمر. تلك نظرته ولو رأى فيها غير عربي نوعاً من الانزلاق غير المبرر من حال الحرب الأهلية (لبنان)، الى حال التحرير الوطني (فلسطين). فريدمان لا يعتقد بوجود هذا الفرق الشاسع بين الحالتين، فالمسألة مسألة قبائل وبيارق ودم ليس إلا.

هذا الرعب، هذا القرف، لا يمنعان فريدمان من التفكير في حل للنزاع بين العرب واسرائيل. هذا الحل عنوانه: الانسحاب من جانب واحد، تماماً كما حصل في جنوب لبنان. ويتصور فريدمان خطاباً وهمياً لزعيم اسرائيلي يقوم ليقول: لم ننتظر طويلاً لنفهم اننا لن نحصل على سلام في لبنان، لذلك حددنا خطاً لحزام أمني وضعه العسكريون وانسحبنا اليه تاركين اللبنانيين يستمرون في حربهم. وهذا بالتمام ما علينا القيام به في الضفة وغزة. لماذا ينتظر الاسرائيليون عرفات والملك حسين، والعرب الآخرين؟ لماذا لا يقدمون على انسحاب يقررون بأنفسهم موعده وحدوده، وليفعل العرب ما يشاؤون بعدها، أي بعد تكوين «القلعة» الاسرائيلية المتماسكة التي اخرج منها الفلسطينيون مع الاراضي التي يعيشون عليها بكثافة؟

لا مجال للاتفاق بين القبائل، وبين «قبيلتي» اسرائيل وفلسطين، لا يرى فريدمان إلا كراهية لا نهاية ممكنة لها، انها في الدم، تقوم على رفض الآخر والحل الوحيد هو تجنب التعايش، هو الانعزال كل في قلعته. و «بعجقته» وبكلامه العصبي المتدفق كالنهر الجياش (فريدمان يسمع ويكتب ويتكلم ويفكر ويسجل ويهيء الرد عليك في آن معاً)، يعترف فريدمان بأن مواطنيه الاميركيين لن يصدقوا كثيراً روايته عن عقد امضاه في منطقتنا، ذلك «ان الكلام مع الاميركيين على الروح القبلية كشرح الجنس لمن لم يذق طعمه». لذلك لا أمل في الاميركيين ولا في صديقهم بيريز الذي لا تلقى افكاره صدى عميقاً في اسرائيل. المطلوب «حمامة في ثياب صقر»، تنفذ حلاً قبلياً في ثياب ديبلوماسية. والحل هو الانسحاب وفقاً لقرار اسرائيلي منفرد، ولخطة لا يتم التشاور فيها مع احد. اما الزعيم القادر على ذلك، ففريدمان لا يسميه ولو ان اسم ارييل شارون يتبادر احياناً الى الذهن. واذا كان هذا هو الاسم السحري، فلن يكون الامر غريباً لعدد من اليهود الاوروبيين المعتدلين الذين يرون فيه رجل ذلك القرار المنفرد. فريدمان لا تزعجه نتائج انتخابات اسرائيل ولا تخيفه، بل قد يرى فيها حتى بصيص رجاء.

ثلاثة اصوات من نيويورك، اكبر مدينة يهودية في العالم، تتجاذبها مشاعر متناقضة من الحزن والغضب والرجاء. لكن هؤلاء الثلاثة، بحكم وظيفتهم، مضطرون الى الكلام، الى الكتابة، لاتخاذ الموقف. اما الملايين الأخرى فإن هذه المشاعر تتجاوزها معاً. فبينما ترى الناخب الاسرائيلي يجيب على حصى صبية غزة بصوت ادلى به هو عبارة عن صخر يلقيه في وجه الفلسطيني، ترى الاميركي الذي يجمعه بالاسرائيلي رباط الدين، اكثر ميلا الى الشعور بوقع الحصى وبالجرح البالغ الذي احدثه الصخر الانتخابي الذي ألقته اسرائيل على ابناء الارض المحتلة.

ذلك ان القول بالسمو الاخلاقي، وقتلى فلسطين يتزايدون عدداً، يحمل تناقضاً سيزداد حدة، وسيدفع ولا شك الى اعادة نظر في وظيفة اسرائيل وفي علاقتها بالشتات وفي مستقبل كل يهودي في العالم. وقد يختار الاسرائيليون، ان ازداد التناقض حلاً آخر يحررهم تدريجياً من ثقل الشتات ويدفعهم الى خيار آخر، خيار الهراوة العادية التي يجسدها اي نظام قمعي احتلالي في العالم الثالث. فيتخلى اليهود الليبراليون بعض الشيء عن دعمهم المطلق لاسرائيل، لكن هذه تستفيد في الوقت نفسه، من دعم جديد ومهم، ذلك الدعم الذي وجده حكام جنوب افريقيا، وعدد لا يستهان به من الدكتاتوريين الجلفين في بعض اروقة الحكومة الاميركية. وقد تجد اسرائيل آنذاك نفسها في خضم تناقض جديد وعميق فهي تعطي احزابها الدينية اصواتاً مضاعفة ومتزايدة وتفقد في الوقت نفسه ارتباطها العضوي بالدين اليهودي، كدين عالمي. لن يكون هذا اول تناقض تنزع اليه اسرائيل، لكنه قد يمسي في المقبل من الزمن، تناقضها الأدمى.

---

* استاذ للعلوم السياسية في جامعة باريس ١ الأولى.